بسم الله الرحمن الرحيم

آتى الله تعالى رسولنا صلى الله عليه وسلم جوامِعَ الكَلِم، واختصر له الكلام اختصاراً، فبألفاظ قليلة يجمَع معاني كثيرة؛ ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: ((مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ؛ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ)) حديث عظيم في تأديبِ النفس وتهذيبِها، وبلوغِها الكمال الخُلُقي، وصيانَتِها عن النَّقائص، وتَرْكِ ما لا نَفْع فيه من الأقوال والأفعال.

فصلى الله عليه وسلم طلب من المسلم ترك مالا يعنيه من الكلام، والنَّظر، والاستماع، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة.

وهَدْي السَّلَف في الكَفِّ عمَّا لا يعنيهم، ومُحاسبةِ أنفسِهم في ذلك معروفٌ مَحْفوظ، فقال أحد السلف في مرضه ووجْهُه يتهَلَّل، فسألوه عن سبب تَهَلُّلِ وجهه؛ فقال: ((ما من عملٍ أوثقُ عندي من خَصْلَتين: كنتُ لا أتكلَّم فيما لا يعنيني، وكان قلبي سليماً للمسلمين)).

وقال الحسنُ البصري رحمه الله: علامةُ إعراضِ الله تعالى عن العبد؛ أنْ يجعلَ شُغْلَه فيما لا يَعْنيه.

قال الشافعي: ثلاثةٌ تَزِيد في العقل؛ مجالسة العلماء، ومجالسة الصالحين، وترك الكلام فيما لا يعني.

والإسلام الكامل يدخل فيه تركُ المُحَرَّمات؛ كما جاء عن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِّ! أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((منْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))، فإذا حَسُنَ الإسلامُ؛ اقتضى تَرْكَ ما لا يعني.

وأكثر ما يشغل به الناسُ مجالسهم هو لغو الكلام والتدخل فيما لا يعنيهم، واللهُ تعالى نفى الخيرَ عن كثيرٍ مِمَّا يتناجى به الناس بينهم، فقال :{لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَو مَعْرُوفٍ أَو إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ}[النساء: 114].

ولَمَّا سأل معاذٌ فقال: يَا نَبِيَّ اللهِّ! وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قال له صلى الله عليه وسلم: ((ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَو عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)).

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: مَنْ عَدَّ كلامَه مِن عَمَلِه؛ قَلَّ كلامُه فيما لا ينفعه، وللأسف كثير من الناس لا يعد كلامه من عمله لذلك لا يأبه بكثرة الكلام. فتَرْكُ اللَّغو والفُضول دليلٌ على كمال إسلام المرء.

فينبغي للمسلم أنْ يُقبِلَ على الأمور التي تعنيه في دِينه ودُنياه وينشغل بها، وأن يدع ما لا يعنيه، لا في أمور دينه، ولا دنياه؛ لأنَّ ذلك أحفَظُ لوقته، وأسلَمُ لدِينه.

مِنْ حُسْنِ إسلامِ المرءِ؛ تركُه ما لا يَعنيه، وفِعْلُ ما يَعنيه كلَّه، وفي ذلك فضْل عظيم؛ حيث تُضاعَفُ له الحسنات، وتُكَفَّر عنه السيئات؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلاَمَهُ؛ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا)). فظاهِرُ الحديثِ يدل: على أنَّ المضاعفة للحسنة بِعَشْرِ أمثالِها لا بد منه، والزيادة تكون بحسب إحسانِ الإسلام، وإخلاصِ النية، والحاجةِ إلى العمل وفضلِه.

وإنَّ كثيراً من الناس اليوم يَشْتَغِل بما لا يَعنيه، ويُقْحِمُ نفسَه في شئون الآخرِين؛ من باب حُبِّ الاستطلاع؛ كسؤال فلانٍ: من أين جئتَ؟ وأين كُنت؟ وكم راتبك؟ ولماذا اشتريتَ هذه السلعة؟ ومتى تُسافر؟ ومتى تتزوَّج؟ ولماذا لَبِست هذا اللباس؟ ولا بد أنْ تشتري كذا، واختَرْ هذا اللون، واترك هذا اللون، ونحو ذلك من الفُضول المَمْقوت.

وكم نحن بحاجةٍ إلى أن نفهم جيداً قواعد الإسلام وأنظمته العامة، فهذه القاعدة العظيمة: (من حُسنِ اسلامِ المرءِ تركهُ ما لا يعنيه)، يفهمها بعض الناس فهماً خاطئاً، فهناك فرقٌ بين النَّصيحة، وبين التَّدخُّل فيما لا يعني؛ فبعض الناس يمنعون التَّدخُّل مُطلقاً، ويقولون: مَنْ تدخَّلَ فيما لا يعنيه نال ما لا يُرضِيه! وهذا على إطلاقه خطأ؛ فإنَّ بعض التدخلات إيجابية، هي من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن باب النصيحةِ، فلا بأسَ من تقديم النَّصيحة بطريقةٍ حَسَنة، فمِثْلُ ذلك مِنْ مَحاسِن الأخلاق، فإن الإسلام دينٌ يربي المسلم على أن يكونَ فرداً إيجابياً نافعاً، ولبنةً صالحةً في مجتمعه، وإنما نهى الإسلام الإنسانَ أن يتدخل فيما لا يعنيه من شؤونِ الناس الخاصة، أو أن يتتبع عيوبَ الناس ونواقصَهم، لكن الإسلام يأمر المسلم أن يكون صالحاً في نفسه مُصلحاً لغيره، يحبُّ لأخيه ما يحبهُ لنفسه، قائماً لهُ بواجب النصحِ والإرشادِ، فالدين النصيحة، ومن لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن غشنا فليس منا، ومن رأى منكراً فليغيره بيده،

فإن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان، وأمَّا فَرْضُ أشياء، وإقحامُ مُقترحات، قد لا تُناسِب أذواقَ الآخرين؛ فلا شكَّ أنه أمر مذموم، ومِنَ التَّدخُّل فيما لا يعني. فالتدخل في شئون الناس يختلف باختلاف الأحوال، واختلاف الأشخاص، فمنه المحمود ومنه المذموم، واللهُ تعالى يهدي مَنْ يشاء إلى سواءِ السَّبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين